المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب واما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه
على ان الافة مما تعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصه
ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الافات ثم كلام الحسن في تركهم البكا واماطة الاذى تخوف
الشهرة انما كان حكاية احوال الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقايق وانما ذكره
تخويفا للناس من افة الشهرة وزجرا عن طلبها **القسم** الثاني مما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات
والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضا ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق الاموال اما الخلافه
والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين
سنة وقد قال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة الامام المقسط وقال ابو هريرة قال صلى
الله عليه وسلم ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس
مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات
ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك
بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا
صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في
جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من
سلطان جاير اشد من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرنا ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه
يقول من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشيرة الا جا يوم القيمة
مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال
يا امير المومنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله
عليه وسلم خر لي فقال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسالة اعنت عليها وان اوتيتها عن مسالة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله
عنه لرافع بن عمر لا تامرن على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامرن على اثنين
وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني
لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد في فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك
بل الحق فيه ان الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفا لا ينبغي لهم ان يدوروا
بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله لومة لايم وهم الذين سقط
الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فايس

منهم فهو لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة
ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة
عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ
الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل واختلف الفقهاء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال
قايلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك
لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت
بالخير جزما لكان يخاف عليه ان يتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية
اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح
نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى
الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية
وحملت على السوال والطلب فهي امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولي امرنا من سالناه
فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت ان نهي ابي بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر عن الولاية ثم
تقلدها ليس بمتناقض اما القضا فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية
امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع
الحق والعقاب ايضا فيه عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة
واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركها الضعفا
وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقويا الذين لا تاخذهم في الله لومة لايم ومهما كان السلاطين
ظلمة ولم يقدر القاضي على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم
انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضا وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق
ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل اسقط العهدة عنه فينبغي
ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله تعالى فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف
يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية
الحديث وجمع الاسانيد العالية وكلما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فافته ايضا عظيمة
مثل افة الولايات وقد كان الخايفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون
حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي من الحديث
اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس
به وتلاحق بكايهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال قلبه الى كل

Copyright © King Saud University